

## أبيها الأخوة:

إن في تعاقب الشدة والرخاء والعسر واليسر كشفًا عن معادن النفوس، وطباع القلوب؛ حيث يمحص الله جل وعلا المؤمنين ويكشفُ الزائفين. وإن مما حث عليه الإسلام وعظّمه القرآن الثبات على الدين والاستقامة عليه؛ ذلك أن الثبات على دين الله والاعتصام به يدل دلالة قاطعة على سلامة الإيمان وحسن الإسلام، وصحة اليقين، وحسن الظن بالله تعالى وما أعدّه الله عز وجل من النعيم المقيم في الآخرة لعباده الصالحين، وما أعدّه لهم في الدنيا من النصر والتمكين، قال تعالى: **{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ }**.

إن الثبات على دين الله خلق عظيم، ومعنى جميل له في نفس الإنسان الثابت وفيمن حوله من الناس مؤثرات مهمة تفعل فعلها وتؤثر أثرها، وفيه جوانب من الأهمية الفائقة في تربية الفرد والمجتمع، فصفة الثبات على الإسلام والاستمرار على منهج الحق نعمة عظيمة حبا لله بها أوليائه وصفوة خلقه، وامتن عليهم بها فقال مخاطبًا عبده ورسوله محمدًا ﷺ: **{ وَلَوْلَا أَن تَبْتَئَكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا }**.

إن الثبات على دين الله دليل على سلامة المنهج وداعية إلى الثقة به، كما أنه طريق النصر والتمكين.

## المؤمن يصبر على ما أصابه موقنًا أن العاقبة للتقوى:

قال الله تعالى: **{ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ }**.

قال العلامة عبد الرحمن السعدي رحمه الله: **{ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ }** من الظم لك والتكذيب بما جئت به، واشتغل عنهم واله بطاعة ربك وتسيبجه، أول النهار وآخره، وفي أوقات الليل، وأدبار الصلوات. فإن ذكر الله تعالى مُسَلِّ للنفوس، مؤنس لها، مُهَوِّنٌ للصبر.

وقال سبحانه: **{ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ }**.

قال العلامة السعدي رحمه الله: **{ فَاصْبِرْ }** على ما أمرت به وعلى دعوتهم إلى الله، ولو رأيت منهم إعراضا فلا يصدنك ذلك.

{إِنَّ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا} أي: لا شك فيه وهذا مما يعين على الصبر فإن العبد إذا علم أن عمله غير ضائع بل سيجده كاملاً هان عليه ما يلقاه من المكاره ويُسّر عليه كل عسير واستقلّ من عمله كلّ كثير.

{وَلَا يَسْتَخَفُّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ} أي: قد ضعف إيمانهم وقَلَّ يقينهم فخفّت لذلك أحلامهم وقَلَّ صبرهم، فإياك أن يستخفك هؤلاء فإنك إن لم تجعلهم منك على بال وتحذر منهم وإلا استخفوك وحملوك على عدم الثبات على الأوامر والنواهي، والنفس تساعدهم على هذا وتطلب التشبه والموافقة وهذا مما يدل على أن كلّ مؤمن موقنٌ رزينٌ العقل يسهُل عليه الصبر، وكلُّ ضعيفٍ اليقين ضعيفُ العقل خفيفه. فالأول بمنزلة اللبّ والآخر بمنزلة القشور فالله المستعان. اهـ  
والآيات في ذلك كثيرة معلومة.

### ومن فوائد الابتلاء:

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ فِي: "زاد المعاد": "فلولا أَنَّهُ سُبْحَانَهُ يُدَاوِي عِبَادَهُ بِأَدْوِيَةِ الْمَحْنِ وَالْإِبْتِلَاءِ لَطَغَوْا، وَبَعَوْا وَعَتَوْا. وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ إِذَا أَرَادَ بِعَبْدٍ خَيْرًا سَقَاهُ دَوَاءً مِنَ الْإِبْتِلَاءِ، وَالْإِمْتِحَانِ عَلَى قَدْرِ حَالِهِ؛ يَسْتَفْرِغُ بِهِ مِنَ الْأَدْوَاءِ الْمُهْلِكَةِ، حَتَّى إِذَا هَذَبَهُ وَنَقَّاهُ وَصَفَّاهُ أَهْلَهُ لِأَشْرَفِ مَرَاتِبِ الدُّنْيَا، وَهِيَ عِبُودِيَّتُهُ وَأَرْفَعِ ثَوَابِ الْآخِرَةِ، وَهُوَ رُؤْيِيَّتُهُ وَقُرْبُهُ. اهـ"

### من نعمة الله على عبده ثباته على الحق ، وعدم التلون فيه:

روى البيهقي في "شعب الإيمان" عن الحسن البصري رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: "إِنَّ هَذَا الْحَقَّ جَهَدَ النَّاسَ وَحَالَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ شَهَوَاتِهِمْ، وَإِنَّمَا صَبَرَ عَلَى هَذَا الْحَقِّ مَنْ عَرَفَ فَضْلَهُ وَرَجَا عَاقِبَتَهُ، إِنَّ مِنَ النَّاسِ نَاسًا قَرَأُوا الْقُرْآنَ لَا يَعْلَمُونَ سُنَّتَهُ، وَإِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِهَذَا الْقُرْآنِ مَنْ أَتْبَعَهُ بِعَمَلِهِ، وَإِنْ كَانُوا لَا يَقْرَؤُونَهُ، إِنَّكَ لَتَعْرِفُ النَّاسَ مَا كَانُوا فِي عَافِيَةٍ، فَإِذَا نَزَلَ بَلَاءٌ صَارَ النَّاسُ إِلَى حَقَائِقِهِمْ، صَارَ الْمُؤْمِنُ إِلَى إِيْمَانِهِ، وَالْمُنَافِقُ إِلَى نِفَاقِهِ". اهـ

وأخرج الهروي في "ذم الكلام وأهله"، وابن بطة في "الإبانة الكبرى"، واللالكائي في "شرح أصول الاعتقاد" عن خالد بن سعدٍ أَنَّ حُدَيْقَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ دَخَلَ عَلَيْهِ أَبُو مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَقَالَ لَهُ "اعْهَدْ إِلَيْنَا فَقَدْ كَانَ رَسُولُ

اللَّهُ ﷻ يُحَدِّثُكَ بِأَحَادِيثٍ قَالَ أَوْ مَا أَتَاكَ الْحَقُّ الْيَقِينُ قَالَ بَلَى قَالَ اعْلَمْ أَنَّ مِنْ أَعْمَى الضَّلَالَةِ أَنْ تَعْرِفَ مَا كُنْتَ تُنْكِرُ أَوْ أَنْ تُنْكِرَ مَا كُنْتَ تَعْرِفُ وَإِيَّاكَ وَالتَّلَوْنَ فِي دِينِ اللَّهِ فَإِنَّ دِينَ اللَّهِ وَاحِدٌ .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ فِي "مجموع الفتاوى": "وَأَمَّا أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْحَدِيثِ فَمَا يُعْلَمُ أَحَدٌ مِنْ عُلَمَائِهِمْ وَلَا صَالِحِ عَامَتِهِمْ رَجَعَ قَطُّ عَنْ قَوْلِهِ وَاعْتِقَادِهِ بَلْ هُمْ أَعْظَمُ النَّاسِ صَبْرًا عَلَى ذَلِكَ وَإِنْ أُمْتُحِنُوا بِأَنْوَاعِ الْمَحَنِ وَفُتِنُوا بِأَنْوَاعِ الْفِتَنِ وَهَذِهِ حَالُ الْأَنْبِيَاءِ وَأَتْبَاعِهِمْ مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ كَأَهْلِ الْأُخْدُودِ وَنَحْوِهِمْ وَكَسَلَفِ هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْأُمَّةِ حَتَّى كَانَ مَالِكُ رَحِمَهُ اللهُ يَقُولُ: "لَا تَغْبِطُوا أَحَدًا لَمْ يُصِبْهُ فِي هَذَا الْأَمْرِ بِلَاءٌ". اهـ

### المتلون في الدين لا يكون أمينًا :

أخرج البخاري في الأدب المفرد وقال الألباني: حسن صحيح عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "لَا يَنْبَغِي لِذِي الْوَجْهَيْنِ أَنْ يَكُونَ أَمِينًا".

### المتلون يأتي يوم القيامة وله لسانان من نار:

أخرج الطبراني في "الأوسط" وصححه الألباني في "الصحيحة" بطرقه عن أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ كَانَ ذَا لِسَانَيْنِ جَعَلَ اللَّهُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِسَانَيْنِ مِنْ نَارٍ».

قال الذهبي رَحِمَهُ اللهُ فِي كتابه "الكبائر": "وَمَنْ كَانَ ذَا لِسَانَيْنِ فِي الدُّنْيَا فَإِنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ لَهُ لِسَانَيْنِ مِنْ نَارٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَمَعْنَى مَنْ كَانَ ذَا لِسَانَيْنِ أَي يَتَكَلَّمُ مَعَ هَوْلَاءٍ بِكَلَامٍ وَهَوْلَاءٍ بِكَلَامٍ وَهُوَ بِمَعْنَى صَاحِبِ الْوَجْهَيْنِ. اهـ

### كيف تعرف هؤلاء المتلونين ؟

#### 1- يُعرف المتلون مهما أخفى شره بجليسه:

أخرج ابن بطة رَحِمَهُ اللهُ فِي "الإبانة الكبرى": "قِيلَ لِلْأَوْزَاعِيِّ: إِنَّ رَجُلًا يَقُولُ: أَنَا أَجَالِسُ أَهْلَ السُّنَّةِ، وَأَجَالِسُ أَهْلَ الْبِدْعِ، فَقَالَ الْأَوْزَاعِيُّ: هَذَا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يُسَاوِيَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ. وَأَخْرَجَ رَحِمَهُ اللهُ فِي "السابق": "كَانَ الْأَوْزَاعِيُّ يَقُولُ: مَنْ سَتَرَ عَنَّا بِدْعَتَهُ لَمْ تَخَفْ عَلَيْنَا أَلْفُتُهُ.

#### 2- يُعرف المتلون من قسّمات وجهه وفتلات لسانه:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ فِي "مجموع الفتاوى": "فَالْمُنَافِقُ لَا بُدَّ أَنْ يُظْهَرَ فِي قَوْلِهِ وَفِعْلِهِ مَا يَدُلُّ عَلَى نِفَاقِهِ وَمَا أَضْمَرَهُ كَمَا قَالَ عَثْمَانُ بْنُ عَفَانَ: مَا أَسْرَّ أَحَدٌ سَرِيرَةً إِلَّا أَظْهَرَهَا اللَّهُ عَلَى صَفْحَاتِ وَجْهِهِ وَفَلَتَاتِ لِسَانِهِ وَقَدْ قَالَ تَعَالَى عَنِ الْمُنَافِقِينَ: {وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ} ثُمَّ قَالَ: {وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ} وَهُوَ

جَوَابُ قَسَمٍ مَحْذُوفٍ أَيْ: وَاللَّهِ لَتَعْرِفَهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ فَمَعْرِفَةُ الْمُنَافِقِ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ لَا بُدَّ مِنْهَا وَأَمَّا مَعْرِفَتُهُ بِالسِّيَمَا فَمَوْقُوفَةٌ عَلَى الْمَشِيئَةِ. اهـ

وقال رَحِمَهُ اللهُ فِي " الْمصدر السابق ": وَدَلَّ عَلَى أَنَّ ظُهُورَ مَا فِي بَاطِنِ الْإِنْسَانِ عَلَى فَلَاتَاتِ لِسَانِهِ أَقْوَى مِنْ ظُهُورِهِ عَلَى صَفَحَاتِ وَجْهِهِ؛ لِأَنَّ اللِّسَانَ تُرْجِمَانُ الْقَلْبِ فَيُظَاهِرُهُ لِمَا أَكْتَنَّهُ أَوْ كَدَّ. اهـ

### التلون من صفات المنافقين:

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ فِي " طريق الهجرتين ": ومن صفاتهم: كثرة التلون، وسرعة التقلب، وعدم الثبات على حال واحد: بينا تراه على حال تعجبك من دين أو عبادة أو هدي صالح أو صدق، إذ انقلب إلى ضد ذلك كأنه لم يعرف غيره، فهو أشد الناس تلوناً وتقلباً وتنقلاً، جيفة بالليل قُطِرْبٌ بالنهار.

### أبيها الأخوة:

احذروا رحمكم الله هؤلاء المتلونين في دين الله، فهم كالعقارب: قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ كَمَا فِي " طبقات الحنابلة ": مَثَلُ أَصْحَابِ الْبِدْعِ مَثَلُ الْعُقَارِبِ يَدْفَنُونَ رُؤُوسَهُمْ وَأَبْدَانَهُمْ فِي التَّرَابِ وَيُخْرِجُونَ أذْنَابَهُمْ فَإِذَا تَمَكَّنُوا لَدَغُوا وَكَذَلِكَ أَهْلُ الْبِدْعِ هُمْ مَخْتَفُونَ بَيْنَ النَّاسِ فَإِذَا تَمَكَّنُوا بَلَّغُوا مَا يَرِيدُونَ.

فلا تلتفتوا رحمكم الله إلى أقوال هؤلاء المتلونين ولا إلى كثرتهم: قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ فِي " مدارج السالكين ": قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: " عَلَيْكَ بِطَرِيقِ الْحَقِّ، وَلَا تَسْتَوْحِشْ لِقَلَّةِ السَّالِكِينَ، وَإِيَّاكَ وَطَرِيقِ الْبَاطِلِ، وَلَا تَغْتَرَّ بِكَثْرَةِ الْهَالِكِينَ "، وَكُلَّمَا اسْتَوْحِشْتَ فِي تَفَرُّدِكَ فَانظُرْ إِلَى الرَّفِيقِ السَّابِقِ، وَاحْرِصْ عَلَى اللَّحَاقِ بِهِمْ، وَغَضِّ الطَّرْفِ عَمَّنْ سِوَاهُمْ، فَإِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، وَإِذَا صَاحُوا بِكَ فِي طَرِيقِ سَبِيلِكَ فَلَا تَلْتَفِتْ إِلَيْهِمْ، فَإِنَّكَ مَتَى التَّفَتَّ إِلَيْهِمْ أَخَذُوكَ وَعَاقُوكَ. اهـ

كتبه

علي بن عبد العزيز موسى